تجري في قمة السلطة ، انعكاسا للتحولات الكبيرة التي تجري في البنية الاقتصادية في البلاد وما يرافقها من تحولات اجتماعية ونموا هائلا في القوى المنتجة . وتقف القوى الامبريالية والعشائرية بين الفترة والاخرى لاعادة النظر في اوضاعها لاجراء الترقيعات اللازمة ، وسد النقص في المتطلبات التي تحتاج اليها الرساميل الاجنبية والشركات الاحتكارية مستهدفة تحويل البحرين الى قاعدة للخدمات لعموم الاحتكارات في منطقة الخليج العربي .

دور البرجوازية الكبيرة

تلعب البرجوازية الكبيرة بشقيها الكومبرادور والملاكين العقاريين دورا في المخطط الامبريالي ، فالكومبرادور بثنائه المتعددة ، لا يمكنه ان يعيش الا في ظل التبعية الاقتصادية والسياسية للسوق الرأسمالية والامبرياليين . ويجد في دعوات التحرر والاستقلال الحقيقي ، خطرا حقيقيا على مصالحه حيث يفقد الارباح التي يجنيها من وراء قيامه بدور الوسيط ، كما يزداد التحاقه بالاسرة الحاكمة لانه يحصل على ارباح هائلة من وراء تلبية رغباتها ولذاتها ولهذا فانه يقف ضد الحركة الوطنية ، ويرى في كل اضراب ريحا شيوعية قد تدمرمصالحه!

اما الملاكين العقاريين ، فانهم يتشبثون بالوجود الاستعماري ، وعبروا بوضوح عن مواقفهم الخيانية عام ١٩٦٨ عندما اعلنت بريطانيا عن نيتها على الانسحاب ، فلم يجدوا في هذا الاعلان الا انخفاض ايجارات العقارات التي يملكونها ، ولهذا ذهبوا الى المعتمد البريطاني واحتجوا على هذا القرار التعسفي ! الذي اتخذته الحكومة البريطانية .

وعندما جاء الامريكان وجدوا ضالتهم في ضباط ومستشاري وخبراء القاعدة العسكرية وفي رجال الاعمال الاجانب وموظفو الشركات الاجنبية ، ان كل ذلك قد ضاعف من مداخيلهم ، وجعلهم يتوسعون في بناء العقارات والقضاء على الاراضي الزراعية.

ان البرجوازية الكبيرة بشقيها مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الاسرة الحاكمة وتقدم خدمات كبيرة لهم . وترى عدوها الاساسي في الطبقةالعاملة والبرجوازية الصغيرة والفئات الكادحة من الجماهير .

❂ ❂ ❂

ان الاسرة الحاكمة والبرجوازية الكبيرة هما اطراف في التناقض الاساسي تقفان الى جانب الاعداء الوطنيين لشعبنا : الامبريالية الامريكيه والرجعية السعودية، وتتشكلان عاملا عرقلة كبيرين في وجه التقدم والاستقلال الحقيقي .

طبقات الشعب الوطنية وتصديها للمخططات الامبريالية

منذ اكتشاف النفط ، اسهمت الطبقة العاملة بشكل فعال في النضال من اجل الحقوق الديمقراطية، وضد الوجود الاجنبي ، وقد تنامت اعداد الطبقة العاملة وتزايد دورها السياسي في النضال ضد الاستعمار البريطاني في اعوام ٥٤ — ٥٦ ، وخلال انتفاضة ١٩٦٥ ، وتصدرت المعارك الوطنية والديمقراطية بعد ذلك وللوقت الحاضر .

ان الطبقة العاملة تعاني من الاستغلال البشع الذي تمارسه الشركات الاجنبية حيث تجد في هذا الاستغلال جانبان : الاضطهاد الطبقي والاضطهاد الوطني ، ولهذا يكتسب نضالها ضد الشركات والتحامها بالحركة الوطنية طابعه الوطني وسرعان ما يمكن تحويل اي اضراب او مظاهرة عمالية الى اضراب او مظاهرة ذات ابعاد سياسية .

ان الطبقة العاملة تزداد بؤسا واستغلالا مع تزايد تدفق الاستثمارات الاجنبية ويعمد الامبرياليون والرجعيون الى تمزيق صفوف الطبقة العاملة بجلب الالوف من العمال الاجانب . وتعاني من اضطهاد البرجوازية الكبيرة التي تتلاعب باسعار المواد الغذائية وايجارات البيوت وكافة الاحتياجاتاليومية للمواطن .

لقد هال القوى الامبريالية والرجعية ، التطور الكبير في الحركة العمالية سواء على صعيد الوعي السياسي او التنظيمي او النضالي ، وتغلغل الافكار التقدمية والاشتراكية بين صفوفها . ولقد جربت القوى الامبريالية ان تخلق لها بعض العناصر الارستقراطية في صفوف العمال ، لكنها لم تنجح بالشكل الذي ارادته . ولم تتمكن بالتالي من ايقاف نشاط الحركة العمالية ، ووجدت اخيرا ان افضل وسيلة يمكن اتباعها هي تحريك العناصر الدينية الرجعية من الطائفتين لاستخدام الدين ضد الاخطار الاشتراكية ولاثارة النعرات الطائفية داخل صفوف الطبقة العاملة لتعطيل دورها وشله في صراعات ثانوية مفتعلة .

وتقف قطاعات واسعة من البرجوازية الصغيرة ممثلة في صغار التجار واصحاب الدكاكين واصحاب المهن الحرة ، وصغار الموظفين ، والفلاحين الفقراء في الريف ، كما تقف قطاعات واسعة من المثقفين ضد مشاريع السلطة وتناضل من اجل الديمقراطية وتحقيق الاستقلال الحقيقي للبلاد . ويدخل في خضم المعركة اعداد متزايدة من الفئات الشعبيةالمسحوقة.

المخطط الامبريالي لترقيع الاوضاع في البحرين

قبل الاعلان عن الانسحاب البريطاني ، برزت العديد من الظواهر التي تراكمت من خلال تفاعل الوضع الاقتصاديوالسياسي مع الاوضاعالاجتماعية حيث كان ابرزها :

اولا : النمو الكبير والواسع للطبقة العاملة البحرانية حيث شكلت قوة اجتماعية كبيرة تملك الرصيد الكبير من النضالات ولديها الكثير منالمطالب الوطنية والديمقراطية التي لم تتحقق .

ثانيا : التحولات الواسعة والعميقة التي شهدتها الحركة الوطنية وانحياز قطاعات واسعة منها الى صف الفكر التقدمي وبروز التيارات الثورية التي ترفع لواء العنف الثوري لاسقاط النظام الرجعي العفن وانتشار الافكار الثورية في اوساط الجماهير.

ثالثا : التدفق الهائل للثروة النفطية في منطقة الخليج وتاثير عدم الاستقرار البحراني على مجمل مصالح الامبريالية في المنطقة، وبالتالي ضرورة ترتيب الاوضاع لتلبية احتياجات الرساميل الاجنبية التي تبحث عن الاستقرار والامان ، واحتياجات الشركات الانشائية والمصرفية التي يغريها الوضع الاستراتيجي للبحرين في منطقة الخليج وتجبر على تلبية بعض المطالب للفئات الشعبية لتتمكن من النهب والاستغلال في جو اكثر اطمئنانا .

رابعا : ان الشكل السياسي والاداري والقمعي الذي كان سائدا يعرقل مجيء المزيد من الرساميل والاحتكارات واصبح ضروريا اجراء تعديلات في الحياة السياسية لتتضح صورة القوى المتصارعة وتقنين الصراعات لكي يستمر حكم الطغمة الحاكمة .

خلال السنوات الاخيرة شهدت منطقة الخليج العربي مجموعة من المخططات الامبريالية التي تستهدف بالدرجة الاساسية ترتيب اوضاع الانظمة العشائرية . وعندما نقول مخططات امبريالية ، فاننا نقصد بالتحديد ان السيطرة الفعلية والهيمنة الحقيقية لمقاليد الامور في منطقة الخليج العربي هي بيد الدوائر الاستعمارية وان ما يجري من تحركات سياسية على صعيد الانظمة الحاكمة يجري تحت اشراف وترتيب الامبريالية وللدوائر التابعة لها .

لقد ادركت الدوائر الامبريالية اننوعية المؤسسات الحكومية المتواجدة في هذه الامارات لا تتناسب والتطور الواسع الذي جرى في بنية المجتمع الاقتصادية والطبقية ، ولا يناسب حاجة الاحتكارات والشركات الراسمالية على الصعيد السياسي ،مع الاحتفاظ دائما بالعلاقات التي تكون مناسبة لتعطيل

عرقلة تطور القوى الطبقية والسياسية المعادية للفئات المسيطرةوبالتحديد الامبريالية. والامبرياليون يرسمون مخططاتهم بطريقة عشوائية ، بل يدرسون قضية كل منطقة واحتياجاتها على ضوء المخطط العام ، كما يدرسون الحاجات الجديدة التي تفرزها قوى الانتاج الجديدة ، ويضعون الخطط باستمرار لاطالة عمرهم ، لاستمرار نهبهم ، لتثبيت اقدامهم باشكال اخرى انهم يحتفظون بالحلقة الرئيسية في هذه العملية بأكملها ، الا وهي السلطة السياسية والتي تعبر عن سيطرتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وهذه مسالة يجبباستمرار ان نغيب عن بالنا لنفهم كل المخططات السياسيةالتي تجري في اية منطقة .

ان الانطلاق من التحليل الطبقي للاحداث هو وحده القادر علىكشف هوية هذه الاحداث ولمصلحة اية من الطبقات الاجتماعية ينفذ هذا المخطط اويعرقل احداث لا يمكن الا ان نقع في التباسات وحيرة من المخطط الذي يجري امامنا ، ولا يمكننا بالتالي ان نضع التكتيك الصحيح النابع من مصلحة طبقية وطنية محددة .

واذا كانت الامور على هذا النحو فهل يعني ذلك ان القوى الشعبية لا تستفيد مطلقا من اي تحرك للقوى الامبريالية، ومن اي مخطط يضعه الامبرياليون.

النظرة الثورية تعلمنا دائما بان هناك طرفان وليس طرف واحد فقط بمعنى اخر ان الدوائر الامبريالية تجري هذه الترقيعات ، وتريد القوى الطبقية الرجعية ان تنشط لتختفي هي وراءها ، فان الاجواء السياسية التي يخلقها التحرك والمخطط الامبريالي يمكن ان تستفيد منها القوى المعادية في حالة ادراكها للتكتيك . ولهذا يجب دائما التفتيش عن التناقض في اي حدث في اية عملية سياسية.

يجب النظر الى الامور نظرة احادية .

لقد اجرت الامبريالية العديد من الترقيعات في منطقة الخليج ، ليس فقط لان مصالحها تحتاج الى هذه الترقيعات . ليس فقط لان العلاقات السياسية القديمة لم تعد صالحة لعملية النهب الواسعة الجديدة التي دشنتها القوى الامبريالية مع بروز النفط ، وانما ايضا وبالاساس لان القوى الطبقية المعادية وعلى راسها الطبقة العاملة والبرجوازية الكبيرة وحتى المتوسطة والكبيرة بحاجة الى تغير العلاقات السابقة بعلاقات اخرى . كما ان حجم الضغوط التي توجهها هذه القوى يعتمد بشكل اساسي على دورها في الانتاج ، ولهذا فان الدور الذي تلعبه الطبقة العاملة ومنظماتها السياسية والبرجوازية الصغيرة ومنظماتها السياسية ، كان كبيرا في اجبار الامبرياليين على وضع ترقيعات جديدة لا تلبي بالاساس مصالح الطبقة العاملة وحلفائها الطبقيين ، بل تعمل على سحب البساط من تحتها بطرح مشاريع تضليلية تلبي مصالح الامبرياليين وتجر معهم قوى طبقية جديدةهي بالتحديد الفئات الوسطية في السلم الاجتماعي ، ويعتمد حجم القوى الطبقية التي ستنجر الى ذلك المخطط على مقدار استجابة الدوائر الاستعمارية لمطالب الفئات الاجتماعية وخاصة البرجوازيةالصغيرة والمتوسطة التي تتذبذب باستمرار بين الطبقة البرجوازية الكبيرة والطبقة العاملة . ولهذا نرى دائما بان هناك شرائح في البرجوازية الصغيرة تدافع عن المخططات الجديدة وتعتبرها مكسبا لها بينما نرى شرائح دنيا من البرجوازية الصغيرة التي هي اقرب الى الطبقة العاملة او التي لم يستجب لمصالحها تهاجم السلطة وتشهر فيها .

كان الاعلان عن الانسحاب البريطاني هو البداية لهذه الترقيعات ، فقد اعقب الاعلان تحرك سياسي واسع في الامارات لترتيب مستقبلهم السياسي بعد الانسحاب وكان مؤتمر دبي الذي عقد في فبراير ١٩٦٨ قد اعلن عن اتفاق الامراء على اعلان اتحاد لهم .

كانت المخططات تجري على صعيدين :

صعيد الامارات ككل والمستقبلالسياسي لعموم المنطقة ، وقد عبر عن نفسه بالدعوات الاتحادية ونظريات ملء الفراغ والاحلاف العسكرية ، وما شابه من الدعوات والمشاريع المشبوهة التي عبرت والرجعية ليكون لديها نصيب الاسد من عن الاندفاع الكبير للدول الامبريالية التركة البريطانية .

وعلى صعيد كل امارة كانت الترتيبات تجري لتحديث الاجهزة الحكومية وسن المزيد من القوانين لتلبية متطلبات المرحلة القادمة .

وعلى صعيد البحرين، قامت الدوائر الاستعمارية بتشكيل نواة الحرس الوطني الذي حولته الى قوة دفاع البحرين وجلبت له الضباط البريطانيين والمستشارين الاردنيين بالاضافة الى الضباط البريطانيين . وبدأت تتعهد هذه القوة القمعية لتتمكن السلطة من الاعتماد على نفسها في حالة الانسحاب البريطاني وقيام اية اضطرابات في البلاد . ان تعزيز اجهزة القمع قد تضاعف منذ ١٩٦٨ وتزايدت الهجمات على الحركة الوطنية والعمالية حيث استقبلت السجون ومراكز التوقيف الكثير من العناصر الوطنية والديمقراطية .

كما اعادت ترتيب الجهاز الحكومي الاداري وتنظيمه ليجاري الاوضاع السياسية المستجدة ، وشكلت مجلس الدولة كمقدمة للاعلان عن مجلس الوزراء ، وجلبت المستشارين والخبراء لتنظيم اوضاع الادارات الحكومية وخلال ذلك كانت تريد ان تكسر الحاجز الكبير الذي يفصل بينها وبين الجماهير، هذا الحاجز الذي شيدته دماء الشهداء في ١٩٦٥ والمئات من المعتقلين والمنفيين والمطاردين من قبل اجهزة القمع البريطاني . ووجدت السلطة البريطانية ضالتها في « عروبة البحرين » حيث تلقفت احد تصريحات وزير خارجية باكستان في طهران عن نفهمه لاطماع ايران في البحرين والخليج ، لتجعل منها وسيلة المعبور الى الجماهير .

وتلقفت تلك الاشارة عناصر السلطة في نادي الخريجين (١) واتحاد الاندية البحرانية لاصدار البيانات وارسال البرقيات ، وتكتيل الاندية للوقوف في وجه الادعاءات الايرانية ! وراء الحاكم الرشيد !

هكذا اعطيت للاندية دورا سياسيا لم يسمح لها ان تمارسه في السابق او بعد انتهاء هذا التهريج الواسع لكن الجماهير قد عزفت تماما عن التجاوب مع السلطة وكانت تدرك ان الامبرياليين يطبخون الطبخة التي تناسبهم في هذه المرحلة ، وتدل المؤشرات على انهم سيعطون ايران مناطق اخرى للسيطرة عليها .

وفي الوقت الذي جرت فيه هذه الاحداث الداخلية كانت السلطة البحرانية تريد ان تبرز على صعيد الامارات على انها واحة الحرية والبلد الاول في الخليج بعدد المتعلمين فيه وبالكثافة السكانية وبدأت تطبل على نغمة الديمقراطية التي يجب ان تسود المؤسسات الاتحادية في الوقت الذي لا تعرف الديمقراطية طريقا لها في البحرين .

وواصلت الدوائر الاستعمارية بناء هياكل ومؤسسات الدولة في الوقت الذي تواصل الحديث عن مشروع الاتحاد التساعي وتبرز وكان الخلافات بين الامراء محصورة في مسائل كالعاصمة والتمثيل في مؤسسات الاتحاد . بينما المسالة في جوهرها هي اي مخطط يمكن ان يلبي مصالح الدولالامبريالية وخاصة البريطانية والامريكية ، وبوفق بين المصالح المتعارضة للدولتين الرجعيتين : السعودية وايران، واي شكل من اشكال الدويلات يضمن تفتيت واجهاض الحركة الوطنية والجماهيرية ويلبي مصالح القوى الطبقية الرجعية .

كانت الرجعية السعودية تريد ادخال البحرين الى الاتحاد (وكذلك قطر) لزيادة عدد الامارات التي تسير في فلكها وتضمن بالتالي الخط الذي سيسير عليه الاتحاد بعد ذلك ، وتستخدمها للضغط على ابو ظبي بشكل اساسي لحل الخلافات على الحدود.

وكانت الرجعية الايرانية تعارض ادخال البحرين بحجة ادعاءاتها على هذه الجزر وحتى لا يسبب ادخال البحرين اضعافا لمواقف عملائها وخاصة دبي والفجيرة .

وكانت الامبريالية الامريكية تقف وراء الرجعية الايرانية لان استمرار هذه الكيانات الصغيرة يمكن الامبرياليين من تنفيذ مخططاتهم بطريقة اسهل ، ويمكن استخدام تعارضات الامراء لتلبية مصالح حلفاء الامريكان الايرانيين والسعوديين بتوزيع مناطق النفوذ ، ويضمن سياسة الالحاق التي تتبعها في حالة وجود عدد من الدويلات اكثر بكثير من وجود دولة موحدة . كما ان اخطار الحركة الوطنية اقل بكثير في حالة تعدد الكيانات السياسية .

اما البريطانيين ، فقد كانوا يريدون الاحتفاظ بنفوذهم ومصالحهم وهيمنتهم على هذه الامارات في الوقت الذي ترتفع الكثير من الاصوات مطالبة بخروجهم من المنطقة لهذا وقفوا مع الاتحاد